

فضة سائلة ، ونوراً مذاًباً ... وكان  
الناس منشورين في كل مكان ، في القصور  
الشم التي يفيض بها الوادي ، وتمتلي  
بها التلال والصخور ، وعلى سفوح  
الربا ، وذراً الهضاب ، وجوانب الحرة  
وفرش الرمال ، حلقاً يستمدون إلى منن

أو شاعر ، أو يدرون بينهم أطياب الحديث ،  
أو يأكلون ويشربون ، أو يلهمون ويلعبون ، ولم  
يكن فيهم إلا من ملأ الفرح قلبه وغمرت السادة  
فؤاده . أما النساء فقد اعتزلن جانباً ، بأخذن حظهن  
من ليالي المعيق ، وقد بدوّن في شمع القمر بشياهن  
الملونة الزاهية ، كالروض الزاهر الفاتن بكل ساحرأخاذ  
من الورد والياسمين والزرجس والبنفسج والزهر من  
من كل شكل ولون ... أما عطر الروض ، فكان  
يفوح من أعطافهن وشعورهن وثياهن الههههههه ..  
ذلك هو المعيق !

كم شهد من أعراس الحياة ومباهجها ! كم  
جال في أرجائه عمر بن أبي ربيعة بنضح حواشيه  
بشعره المطر الخالد ! كم غنى فيه معبد وابن سريج  
ومالك بن أبي السمع وعزة الميلاء ، فاستفاضت  
أحانهم على صفحة الماء ، وشطآن الأفق ، وطفت  
على وجهه النسيم فانتشت منها الطبيعة ، وسكرت الجبال  
والربا ، وسكر منها شمع القمر فضل طريقه مترنحاً  
في مسالك الجو ... كم رأى المعيق من العلماء الزاهدين  
كمررة ومالك ، والسمحاء الأكرمين كابن جعفر  
وسعيد بن العاص ، والحجان والمختئين كأشعب  
وطويس والدلال ! كم كتب في المعيق من تاريخنا  
الأدبي والغنى ! كم ألهم شعراءنا رائعات الشعر  
ومعجزات القصيد !

\*\*\*

إذا جلت تلك الليلة أنحاء المعيق ، رأيت على

ميراث الشيخ الأساكي

## ثلاثون ألف دينار!

للأستاذ الطنطاوي

سرى في المدينة أن قد سال المعيق ، فانتقلت  
المدينة بمساكنها وساكنيها ، وزهوها وكبرياتها ،  
لهوها وغنائها ، وترفها ونعماها ، حتى استقرت في  
المعيق . ولقد كانت المدينة على عهد الخلفاء من بني  
أمية قلب الدولة الذي يخفق بالحب والشعر ، كما كانت  
الشام رأسها الذي يفكر في السياسة والملك ، والمراق  
يدها التي تلوح بلم (المعارضة) ، وتهز سيف الثورة .  
وذلك أن فتیان قریش وشباب الأنصار تفل عليهم  
المال الذي حمله آباؤهم الفاتحون الذين ورثوا كنوز  
كسرى وقيصر ، ما حوى القصر الأبيض في المدائن ،  
وما اشتملت عليه قصور الشام البلق ، وكثر في  
أيديهم حتى ما يدرون فيم ينفقونه ... وكان من  
سياسة دمشق أن تفصمهم عن الولايات والأعمال ،  
فاتسع عليهم الوقت حتى ما يلهمون بم يملؤونه ...  
فانصرفوا إلى تزجية الأيام ، وانتهاب اللذائذ فجعلوا  
الحجاز دارة اللهو والترف ومثابة الشعر والغناء ،  
وناهيك بالشباب والفراغ والجدة إذا اجتمعت  
على قوم من الأقوام !؟

وكانت ليلة مشرقة غسل البدر بنوره ظلماءها وأحاطها  
مثل الغادة المائسة بملالها البيضاء ، ثم ذهب يغتسل  
في المعيق ، فطفا ضياؤه على وجهه ، بعانق قطراته  
ويراقص أمواجه الصغيرة ، وكان منظراً عجيباً ،  
بحسب معه أن الوادي لا يجري بالماء ، وإنما يجري

الكز من يدها إذا هي فارقت منزلها ليلة ؟ لم يبق في المدينة أحد إلا أم العقيق هذه الليلة ، أفتبقى سهيلة في عزلة الموحشة ، وهي الفتاة اللعوب ؟ لا . لا . إني لا أستطيع أن أفهم هذا .  
قالت أمينة :

— إنك لا تستطعين أن تفهمي ، مسكينة أنت يارفيدة . . . تقولين إنها في عزلة ؟ إنها في جنة الحب يا صديقتي ، إن الدنيا على سقمها أضيق من هذا العش الذي تعيش فيه مع من تحب . . .

\*\*\*

وكان الفتيات في غمرة الحديث حينما صرّ بهن فارس يحمل لأمته وسلاحه ، قد أرخى عمنه وتلثم فلم يعرفن من هو وإنما نظرن إليه وهو يخترق جماعات الناس حتى جاوز الجبل وغاب وسط النخيل فلم يحفظنه ولم يابهن له . . . وكان ذلك فروخ زوج سهيلة . . .

وكان فروخ قد عزم عن اللهو ، ورغب عن المتع ، فتلفت إلى وجهة أخرى من وجهات الحياة في العصر الأموي ، إلى حياة الجد ، حياة الجهاد في سبيل الله . وكان جيش المسلمين يسيح في الأرض يغمرها من كل جانب ، كأنه البحر ، لولا أنه بحر يمتد أبداً لا يعرف الجزر ولا يدره ، وكان قد بلغ أواسط آسيا وأوائل أوروبا ، ولا يزال يعضى في وجهه لا يقف حتى بطون هذه السكرة ، ويرفع عليها علم الحق والهدى ، ويوحدها حتى تمتشى كلها إلى الفضيلة والمجد والخير ، سفاً واحداً ترفرف فوقه راية القرآن . . . نجفا فروخ منزله ، وترك زوجته الحسنة تنقلب وحيدة على فراش العرس الذي لم تجف أزهاره ، وأودعها ماله كله ثلاثين ألف دينار تحفظها له إلى أن يمود من جهاده ، وقد قضى حق

طرف الحرة مما يلي بئر عروة وقصره ، حيث تنحدر الرمال الطرية حتى تباغ الماء وتدلى فيه أقدامها . . . رأيت سرباً من الأطباء القائنات يتدافعن ويتراششن بالماء ، وهن يتصايحن ويضحكن فرحات عابثات ، حتى إذا نعين جالس على الرمل يتأملن صفحة الماء — وللماء الجاري في الحجاز سحر ليس للفرات مثله ولا للنيل — وينظرن مأخوذات بجمال هذه الليلة وفتونها ، وكن يتلفن أثناء الحديث كأنهن يرقبن من يطلع عليهن من الثنية ، فلما طال الانتظار قالت واحدة منهن :

— لقد طال غياب سهيلة ، فياليت شعري ماذا عاقها عنا هذه الليالي المقمرات ؟  
فردت عليها فتاة سمراء قد تلفعت بثوب من الحرير الأحمر :

— ألا تدرين ماذا عاقها ؟ لقد شغلها هوى فروخ يا حبيبتى ، لقد خسرتنا سهيلة إلى الأبد !  
— ولم يا أمينة ؟ أمى أول فتاة تزوجت ؟ كلانا عرف الزواج ، فما قصرنا في حق الرجل ، ولا أهملنا حق أنفسنا  
فأجابت أمينة ضاحكة :

— ولكن ما كل زوج فروخ . . . أرأيت إلى جماله وشبابه ؟ إن له فوق الجمال والشباب ثلاثين ألف دينار ، أفليس من حق سهيلة أن تنسى معه العقيق ولياليه المقمرات ؟

— إن تنس العقيق ، فليس لها أن تنسى صويحبات صباها

— لو كنت مكانها لنسيت أمك وأباك . إن للحب سكرة ، وللمال مثلاً ، فأنى لسهيلة أن تصحو من سكرتين ؟

فقالت فتاة من طرف المجلس قد آلمها غياب سهيلة :

— لتسكن قد وجدت كزاً ، أفيطير هذا

آلام وأوجاع : كلا ... إنه لن يعود ! ثم قامت عني  
ولو أن امرأة أخرى كانت في مكانها لفسقت  
وانسأقت في طريق الفحشاء ، ولكن سهيلة في  
دينها وتقواها وشرفها أ منع من أن يستهويها الشيطان ،  
وما أحسب إلا أنها ستجن إلا أن يتداركها الله  
برحمته منه

فينطلقن يفكرن في سهيلة ، كيف يسمدنها  
وينشلنها من قرارة آلامها ، فلا يجدن إلى ذلك  
من سبيل ...

\*\*\*

وكانت سهيلة قد علقت من زوجها وهي لا تدري ،  
فلم تكن إلا شهوور حتى بدا عليها الحمل واضحاً ،  
فزادها المأ على ألم ، فأمنت في الفرار من الناس ،  
والبعد عن صاحباتها ، فضاعف الانفراد هو أوجسها  
وشجونها فكانت تتلفت أبدأ إلى الشرق البعيد ،  
على نسمة من زوجها الحبيب تنعش فؤادها ؛ وتساءل  
القادين والرائحين عن فروخ ( أبي عبد الرحمن ) فلا  
تجد علماً عن أبي عبد الرحمن . فتناجى البدر وتساءله  
عنه عله يراه كما تراه هي وتحمل الرياح سلامها ،  
وتسائل الشمس إذا أشرقت لعل عندها من أخباره  
علماً . لا تفعل ذلك كما يفعله الشعراء ، فالشعراء  
يناجون البدر ويسألون الرياح ، ليأثوك بالطريف  
المجيب من المعاني ، ثم ينامون آمنين مطمئنين ،  
ويهجمون ملء عيونهم ، ولكن سهيلة لم يكن  
يطيب لها منام ، ولا تقبل على طعام ، وإنما كانت  
حياتها كلها في هذا الماضي القصير الذي نعمت به  
حيناً ثم خسرتة وهي أشد ما تكون حباله وشوقاً  
إليه . وطنى عليها الفكر حتى كادت تجن حقاً . فلم  
يجد من يعنى بها من صديقاتها ، إلا وسيلة واحدة  
إلى نجاحها : هي أن يستمن عليها بأحد الأئمة من

الله عليه فيستأنف الحياة معها رغيدة سعيدة . لم يدر  
فروخ أن جهاده في حفظ زوجه وعصمتها وإنشاء  
أسرة سالحة ، خير له من أن يدعها وحيدة ، وأن  
يهجرها بعد أن أذاقها من كأس الحب الرشفة  
الأولى ...

\*\*\*

وصرت الأيام ، ولبثت ليالي العقيق على أنسها  
وطربها ، ولكن سهيلة التي كانت تملأ الوادي أنساً  
وطرباً ، وتشيع فيه السرور والبهجة ، قد اختفت  
من سمائها كما تختفي النجوم في الليلة الماطرة . أما  
رفيقاتها فلقد حرصن على أن يخففن من لوعتها ،  
وينسيتها آلامها ، وسقن عليها أمانة رفيقة صباها  
وصاحبة سرها ، وأحب الفتيات إلى قلبها ، فكانت  
تمرض عنها ، ولا تنظر إليها ، وكن يسألن أمانة  
عنها كل ليلة ، فتقص عليهن ما رأت منها :

— لقد جرت بها اليوم ، فإذا هي يا أسفى عليها  
قد تبدلت حتى كأنها لم تكن يوماً من الأيام سهيلة  
التي نعرفها . وجدتها تابعة في زاوية المنزل تفكر هادئة  
وإن في قلبها ناراً ما يقر قرارها ، تذيب الحشى ،  
وتأكل القلب ؛ فكلمتها فنظرت إلى بعينين ساهمتين  
كأنهما لا تبصران شيئاً ، فحاولت أن أعيدها إلى  
فسردت عليها أجمل ذكريات صباها . حدثتها عن  
ليالي العقيق ، وأطربتها بنوادر أشعب ، وقصصت  
عليها أقاصيص الشاعر وعبثنا به ، بل لقد تلوت  
عليها أجمل أشماره فلم تستمع . فحدثتها عن فروخ  
فرأيت جسمها يهتز ولونها يشحب شحوباً هائلاً ،  
وألقيتها تحب حديثه لأنه رجّع أحلامها ، وصدى  
أفكارها ، ولكنها تنزع من حديثه لأنه يذكرها  
بآلامها . لقد حدثتها عنه ... فقطعت على حديثي  
وقالت بلمهة حسبتها تجمع كل ما في الدنيا من

أصحاب رسول الله أو التابعين لهم باحسان ، يهديها ويرشدها ويدأوي أمراض قلبها . وليس يغلب الحب إلا الدين ، ولا يجد الحب راحة نفسه وأنس قلبه إلا في اللجوء إلى الله ، عن نية صادقة ، وإيمان متين . ولقد وجدت سهيلة راحتها في اللجوء إلى الله فكانت تقضى أكتفئهارها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في البقعة التي أذن الله أن تنقل من رياض الجنة ، فتستقر على الأرض بين محرابه ومنبره وألا يرى أزهارها ، ويشم عبها ويذوق نعيمها إلا من صفا قلبه من الملل ، وتزهت بصيرته عن العمى وأنشأ له النقي جناحين بطير بهما في هذه الروضة من رياض الجنة ..

\*\*\*

ومرت الأيام ... وغدا ربيعة طفلاً يدرج ، فصرفت سهيلة إلى تربيته هما ، ورضيت به نصيباً من الحياة . وكانت تحذنه عن أبيه ، ونصفه له كما كانت تراه بعين الحب ، وترقب عودته دائماً فلا تسمع بركب قدم من الشرق إلا تمنّت أن تجده فيهم ، وتخيلت أى مفاجأة ، وأى دهشة ، وتصورت لقاء إياها ، وبالغت في التصور فرأت نفسها بين ذراعيه تقبله وتشم ريحه ، ثم تقصيه عنها بدلال ، وتماثبه عتاباً موجعاً . ثم تقدم إليه ابنه ... ولكن الركب يصل ولا تسمع عن فروخ خبراً من الأخبار . وكبر الصبي وضاق ما كان بيدها من المال ، فكانت تصبر وترقب لا تمد يدها إلى الكنز الذي ائتمنها عليه ، حتى لم يبق معها شيء ، فكانت تصبر هي وابنها على الضيق ، وتبيت على الطوى ، وتسلى ابنها وتحذنه عن أبيه ...

— غدا بعود أبوك ومعه المال الوفير ، فنعيش في رغد وهناء ، ونستمع بما أحل الله ون الطيبات

— ومتى بعود أبى يا أماء ؟

عما قريب . إنه سيأتى مع الركب

وتعود إلى إنتظار الركب ، وتخيل اللقاء

وفى ذات صباح ذهبت تسأل القادمين من خراسان ، وتصف لهم زوجها . فدنا منها رجل من الغافلة وخبرها أنه شاهده بمينه قتيلا فى معركة من الممارك ...

فرجعت محطمة يائسة ، ولجأت إلى الله ، فأراحها الله باليأس ، واليأس إحدى راحتين ، فقنعت بابنها ، ونذرت نفسها ومالها لتربيته وتنشئته على العلم والتقوى ، ووضعت المال بين يديه ، ينفقه على نفسه وإخوانه فى طلب العلم ، ويرحل به إلى الآفاق ...

\*\*\*

ومرت الأيام والسنون ...

وتبدلت الدنيا ، وتنتيرت الدول ، وأفل نجم بنى أمية ... ولكن البحر لا يزال يوج ويمتد ، وينغمر أرجاء من الأرض جديدة ، فيحمل إليها الحياة والخصب ، وتميش في ربيع دائم ، تحت راية القرآن ...

وبلغ الفتح فى الشرق ، أراضى الصين ، فرفرف عليها علم الاسلام أثر ممالك هائلة اصطرع فيها الحق والباطل صراعاً عنيفاً ...

فى عشية معركة من الممارك ، خرجت منها الراية الاسلامية مظفرة منصوره ، وخفقت على بقاع جديدة طالما خفقت قلوب أهلها شوقاً إلى الحكم الاسلامي ، انصرف المسلمون إلى المسكر يؤدون فى الليل واجب الذكر والمباده ، كما أدوا فى النهار واجب الحرب والجهاد ، ويمطون أجسادهم حقها من الراحة ، كما أعطوا الأمة حقها من التضحية

ثم يفكر في حاضره . إنه سيموت وحيداً شريداً لا يدري به أحد . إنه لا يسأل الدنيا ولا يحفل الناس ، وحسبه أنه سيموت مجاهداً في سبيل الله ، ولكن ألا يسأله الله عن زوجته ؟

وأحس في تلك الساعة بإساءته إليها ، وانطلق يفكر فيها ، هل هي حية لا تزال أم هي قد ماتت حزناً وكداً ؟ وهل هي في المدينة أم رحلت فلا يدري أى أرض تغلها ، وأى سماء تظللها ؟ وهل بقيت على المهدبها ، أم قد استهوواها الشيطان ووطأ لها أكثاف المعصية ، والثلاثون ألف دينار ، هذا الكثر ، ماذا صنعت به ، هل احتفظت به أم أنفقتة ؟ وإن تكن قد ماتت فماذا جرى على المال ، وأي يد أقيمت عليه ؟

وطفق بذكر ، وبقلب صفحات سبع وعشرين سنة ... هجر فيها زوجته ، وتركها تنقلب وحدها على الفراش ، تفكر فيه كل ليلة وتشاق إليه ، وتغنى نفسها بعودته في صباحها ، تسمة آلاف وسبعمائة وعشرين ليلة ... غبرت عليها وهي تنجرع كل ليلة منها هذه الكأس فماذا حملت من هم ، وماذا ذاق من ألم ؟ وهل بقيت بعد ذلك في الأحياء ؟

وتغنى لو أن خبيراً يخبره عنها وعن ماله ، ثم يطلب إليه ما يشاء ، وأحس كأن رأسه سيصدع من التفكير . ولكنه طفق يذكر على الرغم منه .. ذكر كيف لبث أياماً وليالى لا تفارق صورتها تخيلته حتى واجه المدو وانغمس في القتال ، فلم يكن يذكرها إلا حين يأوى إلى فراشه ، ثم أمعن في الجهاد ، فلم يمد يذكرها أبداً وظن أنه لم يبق لها في نفسه أثر حق انفجرت ذكرياته كلها في هذه الليلة انفجاراً ...

والبذل ، ولقد كان هؤلاء المجاهدون جنّاً في النهار ، رهباناً في الليل ، وكانوا مثلاً للشرف والفضيلة والاخلاص ...

ومضى المهزيع الأول كله ، ونام المجاهدون ولم يبق ساهراً إلا الحراس يحيثون ويذهبون من حول المعسكر ، ورجل آخر أصابه الارق فبقى مسهداً يحس كأن بداخفه نهر قلبه فيخفق ويشتد خفقانه ، وتحمله على الرجوع إلى سالفات أيامه ، فإذا هو يذكر عالماً بمبدأ متوارباً في ظلام ثلاثين سنة ، فلا يطيق البقاء في خيمته ، فيخرج إلى العراء ، فيجد الليل ساكناً موحشاً ، لا يسمع فيه إلا نداء الحراس ، وأصوات الوحوش التي تزدحم على الجثث التي تنص بها ساحة القتال ، فيتعمد عنها وينأى عن المعسكر فلا يمترضه أحد لأن الجيش كله يعرفه ، بل لعله أقدم جندي فيه ، لم يفارقه منذ سبع وعشرين سنة ، يتنقل فيها من ميدان إلى ميدان .. ومضى يمشى وحيداً حتى بلغ الوادي فجعل يحول فيه ، حتى بلغ قرارته . وكان يجري في الوادي جدول ماء له خير وزئير ، يبدو في الليل سرعياً خفيفاً ، فتركه وتسلق الجبل ، حتى بلغ قنّته فأشرف منها على الفضاء الواسع ، وكان الفجر قد كرب أن ينبلع ، فسرت خيوط ضعيفة من النور حيال المشرق فطفق يحرق فيها ، ويحس كأنه ينشق منها أريجاً يحمي نفسه وينعشها ، وجعل يحس بأن قلبه يرق رقة شديدة ، ونفسه يسمو ، وأن خيالات الحب تلوح لمينيه من وراء الأفق البعيد ، غائبة في ظلام الماضي ، فجعل يتأملها ، فيبصر وجه سهيلة وقد وقفت على الباب تودعه ، وتسأله ألا يذهب ، فلا يبالي بها ويمضى لطيفته ، وكانت ليلة قراء — إنه يذكرها كأنها كانت أمس — ويذكر العقيق وأهله ...

في عينيه وجنات . وجعل يفتد السير فيها حتى بدت له جبال المدينة تلوح له على حواشي الأفق فلم يمالك نفسه أن يصيح من الفرح ، ويطير إليها ...

\*\*\*

رقص قلبه في صدره حين بدت له طلائع المدينة نحيى، وأحس كأنه لم يرها قط بهذه البهجة وهذا الرواء . وكان ذهنه قد كل من التفكير فترك كل شيء للمقادير وانطلق يمد نفسه لكل ما تفرجه به، وكان قد صار حيال (أحد) فوق يتأمله وهو مأخوذ برونقه وجماله ،

وهذه الألوان التي تمتاز فيها حمرة الرمال بزرقة الصخور وبياضها ، فيكون منها صورة فائقة لا يمل الناظر من النظر إليها . وكان فروخ يجد في النظر إليه لذة ويذكر فيه عالماً مبهماً من الذكريات والمتع أنساء غايته لحظات ، استدار على أثرها فترك العقيق عن يمينه وكان خالياً في تلك الساعة من النهار ... واستقبل (سليماً) الذي طلع عليه بسواده وظلامه فعاف النظر إليه ، وساق راحلته فاجتازت به مسجد ذباب ، فأنكشفت له المدينة ورأى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن قد أنشئت عليه هذه القبة ، لأن القوم لا يزالون إلى ذلك العهد على السنة الصحيحة ، ولم تكن هذه البدع وهذه المظاهر قد عرفت طريقها إلى نفوسهم ، فذهب بؤم منزله وهو بسلاحه على راحلته ، وكان يعرفه كأنه قد فارقه أمس ، ولم تنغير المدينة عن عهده بها كثيراً ، ولكنه آثر أن يغلب هواه ويقهر رغبته ويبدأ بمسجد الرسول . ومنذا الذي يدخل المدينة ولا يبدأ بالسلام على رسول الله

سلم على الرسول ، وصلى في الروضة ، ثم

وجعل يتخيل هذه الدهشة اللذيذة التي ستغمرها حين تراه قد عاد إليها ، ولم يقو على البقاء ، وتغنى لوطار إلى المدينة طيراناً . لقد خرج منها وهو شاب مافي وجهه ولا في رأسه شعرة بيضاء .. فأمسى وجهه ولحيته كالشمامة ؛ وتصور كرة أخرى أنه سيموت فاستفزع أن يموت ولما ير زوجته ، ولما يقبض ماله ، ولما ير العقيق ووادي النقا ومسجد الرسول . واشتد به الحنين ، فأمرع من فوره إلى القائد يستأذنه بالقول ..

\*\*\*

عاد يطوي البلدان لا يستقر في مكان ، ولا يقيم في بلد حتى يماوده الحنين فيدعه يوالى مسيره ، لا ينقطع لحظة عن التفكير في زوجه وماله ، تلك الثلاثون ألف دينار ، ثروته كلها وكثره الذي يبني عليه الأمان . إنه سيضم إليه هذه الأربعة من الآلاف التي جمعها من عطائه ومن نصيبه من الغنائم . وكان يتصور ألوان الممكنات لا يطمئن إلى صورة حتى ينتقل إلى غيرها ، لا يهدأ ولا يستريح ، وكان يخشى أن يدركه الأجل قبل أن يبلغ أمله ، فيكفر فرسه ويمدوها عدواً شديداً ، كأنما كان يسابق الموت ... حتى إذا بدت له طلائع الجزيرة ، وبدت رمالها الأزلية التي أعجزت الجبابرة والفاطمين فلم ينالوا منها مثلاً ، وأعجزت الحياة فلم تقدر عليها ولم تدخل حماها ولم تخرج فيها نبتة مخضرة ، وأعجزت الممات فلم يبدلها ولم ينل منها ، فهي كائنة من الكائنات الهائلة التي تعيش فوق أنظمة الحياة والموت ... لما بدت له هذه الرمال اطمأن إليها وأنس بها ، وأحس أن سمومها روح لقلبه ونعيم ، وأن شمسه المحرقة ظل عليه ظليل ، وأن جبالها الجرداء ويدها القاحلة رياض

وشكوكه ، وعادت إليها صورة زوجته ، فاذا هو  
يصرها للمرة الواحدة والسبعين بشبابها البيضاء تشير  
إليه ألا يذهب ، وصورة الثلاثين ألفاً . ماذا جرى  
عليها ، وأى جديد مفاجئ . مستلقاه به المقادير ؟

ولم تكن داره نائية عن المسجد — فبلغها بعد  
قليل ونزل عن فرسه ورجعه بيده ، وهم يخفق الباب ،  
فأراعه الاشباب حسن الشباب ، مكتمل الفتوة ،  
يخرج منه ، تشيمه امرأته . نعم امرأته ، سهيلة ،  
لقد عرفها من النظرة الأولى ، برغم ما تنيرت ،  
ورآها بعينه تشيع هذا الشاب ثم تدخل وتناقى الباب  
فهاج دمه في عروقه ، وأقبل عليه مزججاً صارخاً ،  
ففتح عن الباب وهم بدخول المنزل ، فمجب منه  
الشاب وصاح به :

— ياعدو الله ، أنهجم على منزلي ؟

— قال : بل أنت عدو الله ، تدخل على زوجتي ؟  
وتؤايبا وتلبب كل منها بصاحبه حتى اجتمع  
الجيران ، وبلغ مالك بن أنس والشيخة ، فأتوا بعينون  
ربيعة ، فجعل ربيعة يقول :

— والله لا أفارقتك إلا عند السلطان .

وجعل فروخ يقول :

— والله لا فارقتك إلا بالسلطان ، وأنت مع  
امرائي .

وكثر الضجيج . فلما أبصروا بمالك سكت  
الناس كلهم ، فقال مالك :

— أيها الشيخ ، لك سعة في غير هذه الدار .  
قال الشيخ :

— هي دارى وأنا فروخ مولى بنى فلان .

فسمعت امرأته كلامه ، فخرجت فقالت : هذا  
زوجي ، وهذا ابني الذي خلفته وأنا حامل به ، فاعتنقا

تلقت فاذا هو بحلقة عظيمة ، تردحم فيها المائم ،  
فتطاول فلم ييصر وجه صاحبها ولم يعرفه ، فوقف  
يستمع فسمع عجبا أنساء الدار والمال والزوجة ،  
فظل في مكانه حتى أذن المؤذن بالمصر فانفضت  
الحلقة ، وذهب فروخ يصلي مع الجماعة فشغلته  
الصلاة عن كل شيء .

لم ير فروخ المدرس ولم يعرفه ، فذهب يسأل  
عنه جاره ، قال له :

— من صاحب الحلقة التي كانت هنا آنفا ؟

فحدق فيه الرجل وقال له :

— ألا تعرفه ؟ ألا تعرف ربيعة الرأي ؟ من

أين أنت أيها الرجل ؟

— غريب ، قدم الساعة ، فن ربيعة الرأي هذا ؟

— هذا فقيه البلد وامامه . هذا شيخ مالك

وسفيان الثوري وشعبة والليث بن سعد . الا تعرف

هؤلاء ؟ هؤلاء هم علماء المسلمين ، وأئمة الدنيا ،

هذا الذي يجلس في حلقة أربعون معتما من شيوخ

الحديث ..

لقد زاره أبو حنيفة . ألم تسمع باسم أبي حنيفة

أيها الرجل فكان مجهوده أن يفهم ما يقول ربيعة .

أعرفت من هو ربيعة الرأي ؟ هذا الذي اتفق

على نفسه وعلى طلبة العلم ثلاثين ألف دينار ، رأيت

مثل هذا ؟ أسمعت به ؟ إنه لم يجلس للناس حتى بلغ

من العلم والعبادة مبلغ من يقول فيه عبید الله ابن عمر

هذا عالنا وأفضلنا وصاحب معضلاتنا ، أتعرف من

هو عبید الله بن عمر أم أنت لم تسمع به ؟ ..

فقال فروخ : بلى لقد عرفت ، لقد عرفت ، وقام

إلى فرسه وقد ارتبطها بيباب المسجد ، فركبها وحمل

رجعه وانطلق إلى داره ، وقد هاجت في نفسه ذكرياته